غفران الامير

مأساة نثرية ذات اربعة فصول يتخللها شعر قديم .

بقلم

بدير مدرسة الطاهرة للسريان الكاثوليك في الموصل الشماس حنا رحماني (تابع)

الفصل الاوّل (تابع)

المشهد التاسع

النعمان وثعلبة

ثعلبة (لي ... ؟) انه غارق في تفكيراته . لأوقظنّهُ في حبائل مكري . ساعرض عليه الفتك بالاسود فاذا وافقني واخذت منه البيّنات الكافية كشفتُها للاسود فتتألّهُ

(للنعمان) اهكذا يقعد النعمان على حجر بعد ان كان العرش مقرّه

النعمان من انتَ يا اخا العرب ؟

ثعلبة أنسيني النعمان ؟

النعمان وكيف يعرفك وقد حجبت وجهك باللثام ؟

ثعلبة (يرفع اللثام) اذكر ثعلبة ابا اذينة

النعمان بل ثعلباً ابا براقش

ثعلبة يشتمني النعمان كأنّهُ بعدُ في قصره وعلى دست ملكه كما فعل يوم جئتُهُ ناصحاً فرفض نصحي وطردني

النعمان النعمان لا يتقلب مع صروف الدهر فالايام لا تغرّه ان اقبلَتْ ولا تُنكيه ان ادبرت . كُسر النعمان لكنّ عزمهُ لم يُكسَر

سوايَ يهابُ الموت او يرهبُ الردى وغيريَ يهوى ان يعيش مُخلّدا
ولكنني لا ارهب الدهر ان سطا ولا احذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مدّ نحوي حادثُ الدهر كفّهُ لحدثتُ نفسي ان امدَّ لهُ يدا

ثعلبة (بتهكّم) تفاخرٌ وتباهٍ ... هذا كله قد عبر . نحنُ ابناء اليوم واليوم انت اسيرنا وفي قبضتنا

النعمان كلامك هذا يوغر والله صدري غيظاً . أيُقهرُ النعمان ويُعيّرهُ بذلك صعلوك . لو لم تكن خسيس النفس وضيع الهمّة لما نجستَ حقوق من خانهُ الدهر فيما لك من نذلٍ لئيم !

ثعلبة (على حدة) فار دمي في عروقي ... ولكن مهلاً . (للنعمان) قل ما تشاء عن ابي اذينة فابو اذينة لا يحمل حقداً فانّ قلبهُ اصفى من الماء الزلال ... وها هوذا قد اتاك ثانيةً ناصحاً ... (يقترب منه) ايها النعمان بن الحارث هل قعدتْ همّتُك . أو نام بأسُك ... الى متى تبقى في الاسر ... (بصوت منخفض) سمعتُ ان الاسود عوّل على الفتك بك

النعمان على الفتك بي ! ولمَ لم يصنع ذلك حالاً بعد انتصاره ؟

ثعلبة ازاد ان يُذيقك طعم الاسر ويوسمك ذلّا

النعمان افتكٌ ومكرٌ . ليست هذه شيمة نفس ابيّة

ثعلبة يحسب النعمان ان الكلَّ مثلهُ . اياك ان تنخدع بالظواهر

النعمان كيف وهو عزّني واكرم مثواي

ثعلبة يُعطيك من طرف اللسان حلاوةً ويروغ منك كما يروغُ الثعلبُ

النعمان ليس لمن ليست له حيلةٌ موجودةً خيرٌ من الصبر

ثعلبة الصبر ضعفٌ على من فُتحت امامه ابواب الخلاص

النعمان زدني ايضاحاً ويحك

ثعلبة (يقترب منه ويكلمه بصوت منخفض) ان الاسود آمنٌ على نفسه لا يتحذّر ولا يخاف . فان احببت اتفقنا على الفتك به فيصبح الملكُ في يدي وتعود انت الى عرشك منعّماً

النعمان صه . أأكيدُ رجلاً انا في داره هذا ما لم يُسمع عند العرب

ثعلبة ان لم تقتلهُ قتلك

ومن لم يصانع في امور كثيرة يُضرَّس بانياب ويُوطى بمنسم

النعمان انا لا اغدر به فان اراد الاسود ان يختفر بذمَّته فلهُ رب يدينهُ

ثعلبة هذه مبادئ اكل عليها الدهرُ وشرب . اما اليوم

فمن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه يُهدَّم ومن لا يَظلم الناسَ يُظلم

النعمان كفى . انا لا افعل هذا

ثعلبة (على حدة) يا للرجل ! انه من صُوّان . لنطرق باباً آخر لنرَ هل من ذريعة لايقاعه في شراكي . (للنعمان) حُبّي لك يا نعمان يدفعني على بذل كل ما لديَّ لخلاصك . . . (يفتكر) ما قولك لو سهَّلتُ لك اسباب الهرب ليلًا . . . هل في ذلك على احد ظلم ؟

النعمان (يفتكر هنيهة) هذا ايضاً لا افعله . اعلم يا ثعلبة ان النعمان ابيّ النفس . لا يخرج من هنا منهزماً متنكرًا . . . ثم هبني هربتُ انا فماذا يحلّ بولدي وبالذين هم رفقتي في الاسر . . . لا . لا . . . الوسائل التي تقترحها عليَّ يا ثعلبة تمسُّ بشرفي . وشرفي اعزُّ عليَّ من نفسي

المنايا ولا الدنايا وخيرٌ من ركوب الخنى ركوب الجنازه

الفصل الثاني

الغدر والخيانة

المشهد الاول

جليل وحدهُ

جليل (عند فتح الستار يكون جالساً على صخرة وهو كئيب) حتى متى يا ربَّاه نتجرَّع كاس الذلّ ! أكثيرا حتى قعرها ! لقد عيل صبري وضعفت همَّتي . . .

حتى متى ارى ابي ذليلًا اسيرًا بعد ان كانت تخضع له الملوك ؟ الى متى يدوم اسرنا هذا ؟

كم أُمنّي بغدٍ بعد غدٍ ... يتفذُ العمرُ ولا ألقى غدا

حتى متى اراني بعيدًا عن امي وقلبي يتلظّى شوقًا الى رؤيتها . انها الان تذرف الدموع على ولدها ولا تدري ما حلّ به وبابيه ... أَلا متى نلتقي يا اماه . قد ذبتُ لألمكِ حزنًا واليكِ اشتياقًا . فسلام الله عليك سلامٌ ينقله منّي اليكِ هذا النسيم :

ريحَ النسيم بحقّ من أنشاكِ ... ردّي السلام وحيّي من حيّاكِ
هبي عسى وجدي يخفُّ وتنطفي ... نيرانُ اشواقي ببَرد هواكِ
يا ريحُ لولا انّ فيك بقيةً ... من طيب امي مُتُّ قبل لقاكِ
كيف السلوُّ وما سمعت حمامةً ... يندبنَ إلّا كنتُ اوّلَ باكِ
يا امّ ما اخشى الحمامَ وانما ... اخشى على عينيك وقتَ بكاكِ

(يقف هنيهةً) آه ! يا ربّاه ! يا محيي العظم الرميم ويا جامع رُفاتِ العباد اجمعْ شملنا . (يُسمع من الداخل عتابة وصوتًا يتغنّى بهذه الاقوال) :

فعسى الذي اهدى ليوسف اهلَهُ ... واعزّهُ بالسجن وهو اسيرُ
ان يستجيب لنا ويجمع شملنا ... والله ربُّ العالمينَ قديرُ

(هنا يدخل ثعلبة دون ان يَشعرَ به جليل) على ان قلبي ينبئني بخَطب جسيم ويناجيني بعذابٍ قريب واشعر بوجبانهِ كلّما وقعت انظاري على رجل متحيّل يسكن هذا القصر اسمهُ ثعلبة . انني اخافهُ خوفي من لسعة الافعى . المكر يسيل من لسانهِ والحيلة تبدو من عينيهِ . دأبهُ التملُّق والتجسّس والتخثُّل والخداع ... فلقد بتُّهُ وهو يسعى ليلًا في القصر او يتنصّت على الابواب . فلا اشكُّ انه يُضمر لنا السوء ... نجنا يا رب من خبث ثعلبة . (هنا يظهر ثعلبة)

المشهد الثاني

جليل وثعلبة

ثعلبة هاءنذا يا جليل ماذا تريد مني ؟

جليل (يرتعش خوفاً) ثعلبة ! يا لهُ ! اين كنت ؟

ثعلبة كنت راجعاً من عند الاسود فلمَّا مررتُ بهذه الطريق سمعتك تناديني فاجبتُك

جليل وماذا اردت من الاسود ؟

ثعلبة وأيمُ الحق يا جليل منذ نُكبتم ما اردتُ من الاسود الَّا امرًا واحدًا فكلما اجتمعتُ به جدَّدتُ عليه طلبي . وزدتُ في الالحاح . . . وما ذاك سوى ان يطلق سراح آل غسان ويرجعهم آمنين الى الشام

جليل بل قل ان يقتل آل غسان عن آخرهم

ثعلبة لِمَ هذا الافتراء يا جليل . اهذا جزاء سعيي في انقاذكم ؟ -

جليل يكفيك يا ثعلبة تخبُّلا ومداهنةً . يكفيك غشًّا وخداعاً . يكفيك نفاقاً . ان حيلك هذه آخرتها وبالًا عليك

ان الافاعي وان لانت ملامسها عند التقلُّب في انيابها العطبُ (يخرج)

المشهد الثالث

ثعلبة وحدهُ

ثعلبة ينشأ الجرو الصغير على وتيرة ابيه . . . ولكن عيبات يا نعمان ان ترى ابنك خلفاً على عرشك . ان ثعلبة ثعلبٌ خبيث خبير تصعب عليكما النجاة من حبائله . فسينصب الكايد للابن بعد ان تنفذ سهامهُ في الاب على ان حُبْلي لم يتوصَّل بعد الى ايجاد وسيلة لأوقع بالنعمان . قد افرغتُ كنانة حيلتي تارةً لأقنع الاسود بقتله واخرى لاصطاد النعمان فرجعت من عند الاثنين بخُفَّي حنين . ما العمل ؟ (يتطلَّع) ها ان الاسود قادم ومعه الشاعر النابغة الذبياني صديق الغاسنة . انيَ امكث هنا لأرى ما سيجري بينهما

المشهد الرابع

ثعلبة والاسود والنابغة

الاسود ما تقول يا ابا امامة في ملوك غسان بعد كسرتهم هذه . الا تزال متحزباً لهم وقد قتلتُ بيدي ولي نعمتك عمرًا اخا النعمان الذي شخصت اليه يوم التجأت

بآل غسان هارباً من غضب ابي

النابغة ملوكٌ عضَّهم الدهرُ بنابه

الاسود او هل يُجبَرُ كسرُهم هذا ؟

النابغة أَلي منك الأمان ان كشفت لك عن مكنونات صدري

الاسود قل لا بأس عليك

النابغة عليَّ لِعَمْر نعمةً بعد نعمة لوالده ليست بذات عقاربِ
ومن بعده النعمان رأسُ الكتائبِ اولئك قوم باسهم غير كاذبِ
اذا ما غزوا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ
ولا عيبَ فيهم غير ان سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قراعِ الكتائبِ
لهم شيمةٌ لم يُعطها اللهُ غيرهم من الجود والاحلام غير عوازبِ
محلَّتهم ذات الاله ودينُهم قويمٌ فما يرجون غير العواقبِ
ولا يحسبون الخير لا شرَّ بعده ولا يحسبون الشرَّ ضربةَ لازبِ
ألا يا بني غسّان مني اليكمُ سلامٌ به حبُّ ...

الاسود (يقاطعه بغضب) كفى يا ابا امامة . ما كنتُ لاظنك تجسر على مدح آل غسان امامي

النابغة ما قلتُ الا بعد ان اذن لي بذلك الامير ولا لوم على من اخلص في حبّه وصدق في قوله

الاسود اذًا تحبهم

النابغة كيف لا وقد اكرموا مثواي واحلوني محل الضيف العزيز . او تلومني على ذلك ايها الملك

الاسود لا ... دعني وثعلبة يا ابا امامة

المشهد الخامس

الاسود وثعلبة

الاسود اراك تسكت يا ابن العم

ثعلبة وماذا اقول ؟

الاسود ما هذه الجرأة التي تجرأت بها النابغة ؟

ثعلبة لا لوم لعمري على النابغة . ما قال الا الحق

هُمُ اهلة غسانٍ وبجدهُمُ عالٍ فإن حاولوا مُلكاً فلا عجبا

الاسود ما العمل اذاً ؟

ثعلبة وهل تجهل ما العمل ؟

الاسود لقد ضِقتُ ذرعاً ولم يبقَ لي رأي . ترى يا ثعلبة ان اقتلهم وانا لا ارى باباً يُسوّغُ لي ذلك بعد ان وضعت الحربُ أوزارها . . . ليتهم لم يقعوا في الاسر ولا وقعتُ انا في هذه الحيرة (يخرج من جهة ويدخل كليب مُسرعاً من جهة اخرى)

المشهد السادس

ثعلبة وكليب

كليب سيدي : رجل متنكر دخل القصر وهو يسأل عن النعمان

ثعلبة وهل اخذتَهُ اليه ؟

كليب كلا . بل اوقفتُهُ ريثما آتي فاخبرك

ثعلبة نِعماً وماذا اخبرتهُ عن النعمان ؟

كليب شبّهتُ عليه الامر بأجوبةٍ ملتبسة فلم يقف على حقيقة . انا وصفتكَ به وأشرتُ عليه ان ينقاد الى امرك

ثعلبة نعماً نعماً . ائتني به عاجلاً وامكث بالقرب من هنا علّنا نحتاج الى سعيك

المشهد السابع

ثعلبة وحده

ثعلبة من هو يا تُرى هذا الوافد . اعدوٌ ام صديق للنعمان ؟ لا بل صديق والّا لما تنكّر وسأل عنه . . . لعلها رمية من غير رامٍ بها اصيب مرامي . . . ولكن مهما يكن من امره فالدهاة والتملّق اولى لي من غيرهما

المشهد الثامن

ثعلبة تُبَّع

ثعلبة (على حدة) عليه شمائل الملوك . (لتبّع) اهلاً بضيف كريم وطئ حمانا . انزل على الرحب والسعة

تُبَّع اراك تستقبلني كصاحب الدار فمن تكون ؟

ثعلبة اني احد اعوان جلالة الملك الاسود وقد كلفني سيدي بمراقبة من اسرناهم من بني غسان

تُبَّع (على حدة) لقد حظيتُ بالمرام

ثعلبة وانت من تكون وما وراءك ؟

تُبَّع اعرابي من بطن البادية

ثعلبة (على حدة) كذبت . (له) وهل الك من حاجة تريد قضاءها

تُبَّع لا حاجة لي . انما كنتُ سائرًا فنفد زادي فدخلت القصر مطالباً بسنة الضيافة

ثعلبة (على حدة) كذبت (له)

وما أخمدت نارٌ لنا دون طارقٍ ولا ذمّنا في النازلين نزيلُ

تُبَّع (على حدة) يا له من رجل كريم . (لثعلبة) . . . هؤلاء الغساسنة في اي حال هم ؟

ثعلبة في حالةٍ يُرثى لها ؟ . . . اما احد يسمعنا (يتطلع ثم يقترب من تُبَّع ويخفض صوته) ان قلبي يتحرق كمدًا على هؤلاء الذين عُنيت بمراقبتهم . . . ملوك اشراف ذلّوا . ابطال يُغلّون بالسلاسل . يا لهُ من ظلم

تُبَّع اذن لا توافق الملك انت على فعلهِ هذا

ثعلبة وكيف اوافقهُ على البغي والجور

تُبَّع ان مهّدت لك سبيل إنقاذهم ماذا تقول ؟

ثعلبة هذا جلّ مأربي . . . ولكن لماذا تتنكّر وتكتمني نفسك انك لقيت صديقاً فانزع اللثام وقل لي من انت . (تبّع ينزع اللثام)

(يتعجب ثعلبة ويقول) : انت تبّع ملك حمير معاهد الغساسنة!

تُبَّع نعم واتيتُ لانقذ حلفائي يا ثعلبة ان كان لك رغبةٌ في المال فاني اصبُّهُ عليك كالسيل انا واحدة اريد انقاذ ملك غسان واشراقهم

ثعلبة لا تذكر المال ايها الملك . اني لساعدك على انجاز مهمتك بطيب الخاطر ... انا ...

تبَّع انا ... اراك تنكص على الاعقاب بعد ان تقدمت شوطًا بعيدًا في سبيل انقاذ هولاء المظلومين

ثعلبة حاشا لثعلبة ان يرجع عما قال او ان يخلف بوعده . انما علي ان اُعمل الفكرة في ايجاد وسيلة تُنقذهم دون ان تمسّ بشرفنا نشرفي اعزُّ علي من نفسي

تبَّع (على حدة) يا للرجل الشريف ! (له) وكيف ذلك ؟

ثعلبة اسمع . ان للاسود ابنًا يعزُّه كل الاعزاز ... أتمكنك من القبض عليه . فاذا تمّ ذلك عرضنا على الاسود تسريح الغسانة او قتل ابنه

تبَّع نعمَ الوسيلة ... انما لي كلام خطير مع النعمان اتمكّني من الاجتماع به ؟

ثعلبة (على حدة) لا . (له) واأسفاه ! واحرقة قلباه !!

تبَّع ما الذي طرأ عليك ؟ ما معنى تلهُّفك

ثعلبة اسفًا عليك يا نعمان ! ذهبتَ ضحيَّة الجور

تبَّع (بدهشة وحزن) أوَ مات النعمان ؟

ثعلبة (بتأثُّر) قتله الاسود

تُبَّع (يبكي) اوّاه ! لقد حرقت قلبي يا ثعلبة ... وا لهفي عليك يا نعمان يا عين الملوك

ثعلبة وماذا ينفعك البكاء ... ان النعمان قد خلّف ابنًا اسيرًا لا يزال هنا مع امراء آخرين ودمهُ يطلب منك ان تخلصهم وان تأخذ بثاره ولذا عرضتُ عليك ما عرضتُ

تبَّع انك لأمرُ الناس يا ثعلبة . انا صانعٌ بمشورتك . قل كيف تسلّمني ابن الاسود ؟

ثعلبة اين جنودك وحاشيتك

تبَّع قد أنزلتُهم بالقرب من هنا وراء هذه الاكمة حيث لم يشعر بهم احد

ثعلبة طبق المرام . اخرج حالًا من القصر . وابق مثلها قدام الاكمة ريثما ابعث به اليك

فاذا اتاك لاطفهُ بالكلام اول الامر ولا تفاتحنهُ بسرك ثم سرْ بهِ متلطفاً الى اعوانك . فاذا قربت منهم كاشفهُ العداوة وضيّق عليه بالاغلال ولا تطلق سبيله حتى اعلمك بذلك . وانا ابلّغ الاسود ان ابنه مأسور عندك وانك لا تُطلقهُ او يُسرّح بني غسان

تبّع اقسم بالله انك احزم الناس . . . لكن اوّاه لو كان النعمان حيًّا ! . . . (يبكي)

ثعلبة لا تبكِ على ما فات . كن على حذر من بهتان نمير بن الاسود الذي سارسلهُ اليك . اياك ان تسرّحهُ قبل ان تأتيك اشارة مني

تبّع سأكون على حذر (يمشي للخروج)

ثعلبة كبّلهُ بالسلاسل وضيّق عليه ما استطعت ولا تتركهُ حتى اشعرك

تبّع فهمتُ . فهمتُ (يمشي للخروج)

ثعلبة اياك ايها الامير ان تذكر له شيئاً ممّا دار بيننا او تفوه باسم ثعلبة

تبّع وهل من حاجة الى هذه التوصية (يخرج)

المشهد التاسع

ثعلبة وحده

ثعلبة عصفوران بحجر واحد : أبعدُ نُميرًا وأغري الاسود على قتل النعمان . احسنتَ لعمري يا ثعلبة . اني لمتعجبٌ كيف تيسّرتْ لي كل هذه الامور . الآن ثبتَ قتلك يا نعمان . الآن بدأ فرحي ان يتمّ . لندعُ نُميرًا . (يتقدّم للخروج ثم يراه مقبلًا) ها انه آتٍ . نعمًا . .

المشهد العاشر

ثعلبة ونمير

ثعلبة كنتُ في انتظاركَ يا نُمير

نمير ولِمَ ؟

ثعلبة قد عيل صبري من تقاعد ابيك الاسود عن تسريح النعمان وبدأتُ اتخوّف سوء العاقبة . واذ رأيت انّ الامر قد استفحل فكّرتُ في ايجاد دواء ناجع

لنفوز بالمرام

نمير وما هو ؟

ثعلبة اتحبُّ النعمان حقًّا يا نمير ؟

نمير او تشكّ في ذلك ؟

ثعلبة وان كلّفك خلاص النعمان بعض العناء أمستعدٌّ انت لقاساته ؟

نمير لو كلفني ذلك سفك دمي لسفكتهُ . وكما اطلقني النعمان بعد ان اسرني لا بدّ ان ابذل كلّ ما في وسعي لاطلاقه

ثعلبة (يقترب منه ويسرّ اليه بعد ان نظر من كل الجهات) بالقرب من هنا صديقٌ للنعمان التبّع ملك حمير قد اتى ليخلّصهُ قسرًا . . . فتعتهُ حَسّاسٌ لحرب هائلة اخافُ ان تلحق بابيك اذًى وقد انهكته هذه الحرب مع الغساسنة . . . فان وافقتني لا ارى احسن من ان ابعثك اليه وانا ابلّغ اباك انه قبض عليك ولا يطلقك الّا بتسريح الغساسنة . فاذا فعل ابوك ذلك انا اتكفل بارجاعك الينا سالمًا

نمير ومن اين بلغك خبر هذا الملك ؟

ثعلبة اطلعني احدّ جواسيسنا عليه . . . فماذا تقول ؟ . . . انا لا بد من العجلة قبل ان يقترب هذه الليلة من القصر . فان اعتمدتَ على ما اقول ارسلتُك اليه الان مع كليب وافهمته الامر

نمير اني اخشى عاقبة ذلك

ثعلبة اذًا لا تحب النعمان . الحب بالعمل لا بالقول

نمير (يفتكر قليلًا ثمّ يقول) : انا رهين امرك

ثعلبة ليس ما اريدُ انا بل ما تقتضيه الظروف . . . على كل حال ليست غايتي إجبارك على فعلٍ تتخوف منه . انت مخيَّر

نمير قد رضيتُ بهذا التدبير وانا فاعله باختياري

(لها بقيّة)